سورة الإسراء

obeikandl.com

﴿ سورة الإسراء ﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۝١ ﴾

جسداً وروحاً إلى المقام الأتم، والمنزل الأعم .

واعلم أن الإسراء بالجسد منزلة علياء، فيما أظن لم تحدث إلا للأنبياء فقط كسيدنا محمد ﷺ وإدريس عليه السلام، وهى مستحيلة فى حق الأولياء، إذا أن معارج الأولياء لا تكون سوى بالروح فقط، فلم يعهد على ولى أنه عرج بجسده إلى تلك المنازل التى بلغها الأنبياء.

وقد صنف الإمام القشيرى ﷺ كتابه المعراج وعدد فيه معارج الأنبياء وبعض معارج الأولياء ،وهناك معراج لأبى يزيد ﷺ حكى فيه عجائب عنه.

واعلم أن معراجه ﷺ بجسده ووقوفه أمام الحضرة الإلهية فى موقف المواجهة الإلهية بالجسد دالٌ على قوة هيكله وعلو جسده على بقية أجساد الأنبياء، فإن جسداً أوقف فى موقف المواجهة الإلهية ورآه وكلمه سبحانه فإنه أعد وصنع لهذا الشأن، ويتلوه ﷺ موسى فإنه تكلم مع الحضرة فى مقام المواجهة الإلهية جسداً وروحاً.

واعلم أن غاية غايات الأولياء الصعود بالروح إلى العالم العلوى، واعلم أن السفر إلى هناك والإسراء إنما يكون بالروح فقط ولا مطمع لهم للإسراء بالجسد فافهم .

﴿ لَيْلًا ۝١ ﴾

وذلك لكون الليل أتم من النهار فى التجلى والتلقى عن الحضرة

الإلهية، وفى هذا يقول الحق سبحانه وتعالي: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ .

وأعظم شرف لأصحاب الليل أن الحق عز وجل يتنزل فيه كما هو معلوم .

ولذلك أمر الحق تعالى نبينا محمد ﷺ بقيام الليل كله إلا قليلاً، كى يكون متصلاً بعين التلقيات، وبمجمع التجليات الليلية فإنها أتقن وأفضل من تلقيات النهار.

واعلم أن العارف الكامل هو الذى يسرى بنفسه من الأقل إلى الأكمل ومن الأدنى إلى الأعلى، وهو الذى يبدل أوصافه السقيمة بأوصاف مستقيمة وينتقل من عالم العلل إلى العالم الأكمل.

فإذا أسرى ذلك العارف من مواطن التراب الثقيل ومن مستقر الذنوب إلى العالم العلوى الأعلى سرّى عن نفسه ونقل روحه من ظلمات الأرض إلى صفاء الملأ الأعلى، وإلى هذا أشار أحد العارفين لما سُئل عن التصوف؟ فقال للسائل: اترك نفسك وتعال.

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولاً ۝ ﴾

وهذا لكثافة حجابه الداعى إلى استمرار الجهل بمصيره فلا يعرف حقيقة أمره الذى سيؤول إليه هل هو إلى شر يقوده أم إلى خير؟ ولكنه يجادل بدون علم فربما جادل فى أمر يخبئ له شراً وربما جادل فى أمر يخبئ له معصية وذلاً، والداعى إلى حكم هذا الآدمى المحجوب على الحقائق هو تعجله فى الحكم بدون داعٍ إلهى يبين له الحقيقة المطلوبة كالكشف مثلاً وزوال الغطاء.

فهذه الآية تنطبق على من لم يبصروا بعد، وأما أهل الإبصار فهم مستثنون منها .

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾

سوى الله سبحانه، فإنه مستثنى من هذا التفصيل فلا يطلع عليه سوى نفسه، ولم يعرفه حق المعرفة سواه وكما قال شيوخنا: الكون هو كل ما سوى الله وكل ما سوى الله فُصِّل سوى المفصل الحقيقى فأبى أن يتعرف عليه سواه .

أموت و ما ماتت إليك صبابتى ولا رويت من صدق حبك أوطارى

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴿١٣﴾ ﴾

وذلك لكون الطائر يألف بنى جنسه وينفر ممن عداه، فكذلك كل عمل هو كالطائر يألف صاحبه، فالفاسق لا يألف سوى العمل الفاسق والصالح لا يألف سوى العمل الصالح، وهذا سر تشبيه العمل بالطائر المتعلق بالعنق فافهم .

﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾

فيه كل الدقائق العملية سواء التى ظهرت من العبد ونفذها وخرجت منه فى عالم الظاهر وسواء التى أبطنها فى خاطره وحدث بها نفسه، ومن يستطع إحصاء كل عمل وخاطر سوى المحصى الأكبر، إنه الله سبحانه عز وجل، وهل يستطيع أكبر كمبيوتر فى الأرض فعل ذلك مهما بلغ إتقانه فى الصنعة ؟.

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾

اعلم أن النفس إذا تحققت من فسادها وضلالها، اعترفت أمام خالقها

بخطأها وأحبت الرجوع إلى الصواب والاهتداء إلى الحق ، وذلك لكونها لا تعرف عداوة الحق عز وجل، فإنها وإن كانت تعادى من خلقها فى هذه الدار لالتباس الحقائق عليها وعدم تعرفها على الصواب من الخطأ، إلا أنها إذا كشف عنها الغطاء فى الدار الآخرة وعرفت حقيقة خالقها أقرت له بالألوهية، فهناك يرى الحق تعالى أنها الأولى فى محاسبة نفسها بنفسها ولذا يقال لها ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ أى يا أيها المؤمن والكافر الآن عرفتنى حقيقة، فلا يحكم عليك سواك وهو من باب إقرار الكل له بالإذعان والخضوع وفى هذا يقول سبحانه: ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾.

فإنه سبحانه ملك الحقائق ومحققها من جذورها منذ ألست بربكم، فهو قادر على أن يجعل اللسان ينطق فى الكافر ويشهد بما اقترفه، حتى يكون هو أقدر الناس على حساب نفسه بنفسه، وكى يقال له: ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾

أى وما كنا معذبين من لم يعرف علينا بالوسائط لماذا لم يتعرف علينا بها، فإنه الأولى أن تتعرف علينا القلوب بلا وسائط، فهذا هو حق التعرف، وهذا هو عين التصرف.

فإن الحق لازال يقول لأحبابه منذ ألست بربكم: من أراد أن يعرفنى حق التعرف فلا يدخل بينى وبينه أحداً فى المعرفة، وليأتنى فرداً، وليدخل على بلا وسائط، فمن دخل على بواسطة فقد أشرك بى

﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾

أى هو أدرى بعيوب الصنعة، فهو كما قال حلاج ﷺ: معلُّ الكون،

فلا يعلم حقيقة العلة مثل معلها.

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾

العارفين المؤمنين .

﴿ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾

الكافرين والفاسقين .

﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾

أى من حقيقة الأحكام الصادرة من الحضرة الإلهية المستوجبة لهذين الفريقين

﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾

لكلا الفريقين، فإن المدد الإلهى ممد، للفاسق والكافر غير ممتنع عنها.

أقول: وهو باب كبير لو خضنا فيه، فإن القدرة لا تمتنع من أن تمديد الكافر بالقوة التى يقتل بها نبياً أو يشج بها رأسه .

وكذلك لا تمتنع القدرة من أن تمديد الكافر بالقوة التى يحرف بها كلام الله .

وكذلك لا تمتنع القدرة من أن تمديد الكفار بالقوة التى يهزمون بها المؤمنين فى الحروب.

وكذلك لا تمتنع القدرة من أن تمد الكافر الفاسق بالكلام الذى يشتم الأنبياء .

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ

وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴿٢١﴾ ﴾

والكامل هو الذى لا يغار ممن هو أعلى منه منزلة من الأولياء

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

فيه إشارة إلى فضل المربي، سواء المربى الظاهر أو الباطن. وكونه سبحانه قرن طاعته وعبادته بطاعة الوالد دال على عظم قدر المقترن به سبحانه وتعالى، والأعظم من الوالد الحسى ــ الطينى ــ الظاهر هو الوالد الباطنى ــ الروحى ــ وهو الشيخ، حتى قال فى ذلك شيخنا ابن عربى ﷺ.

* ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله *

ومن المعلوم أنه كما قال الصوفية: من لا شيخ له فشيخه الشيطان، أى من لا والد له فى الباطن فهو ابن لقيط قد تفرد به الشيطان، لكونه قد تخلى عن إبوة الباطن.

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾

أى المخلصين بالميزان الكونى التقديري، الذى أوجده الحق سبحانه فى الأعيان، وهو المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ

بِقَدَرٍ ﴾.

فهؤلاء هم الذين يحبون أن يخلوا بالتقدير فى ميزان الكون فى الأعيان، ويخلقوا بذلك فوضى فى الأكوان وعبثاً، وهذه صفة الشياطين، سواء شياطين الإنس أو الجن .

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾

أى اطلب الوسطية فى معيشتك، وهو خطاب موجه من الحضرة الإلهية إليه ﷺ لكن فى حقيقته موجه إلى أمته، وقد خاطب به ﷺ الرهط الثلاث الذين قال أحدهم: أنا أعتزل النساء وقال أحدهم: وأنا أقوم الليل كله وقال الثالث: وأنا أصوم الدهر فقال ﷺ: ((**أنا أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى**)) .

واعلم أن مذهب بعض العارفين فى التقتير على النفس وعلى العيال ليس بحجة على مجموع الأمة فى المطالبة بسلوك هذا المذهب فافهم .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾

لكونه أعلم سبحانه بكل آنية بها يصلحها وبما يفسدها، فهو الخالق الأعظم الذى تولى خلق الأعيان، فلا حكم معه فى الظاهر والباطن، بل الحكم الحقيقى له سبحانه وتعالى عما يشركون .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ

قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾

قلت: فيه معالجة لقلة اليقين فى العبد المؤمن الذى يخشى من كثرة إنجاب الأولاد خشية الفقر، فأعلمه الحق سبحانه أن التفكير فى رزق هؤلاء الصغار ليس من شأنه هو وإنما هو من شأن الألوهية، فمن شك فى هذا وعارضه فكأنما عارض الألوهية نفسها، ولهذا كان كمل العارفين لا يهتمون برزق العيال وذلك لتمام يقينهم بضمانه من قبل الحق عز وجل .

وعندما صلى أبو يزيد ﷺ خلف أحد الأئمة ثم سأله: من أين تأكل بعد الصلاة ؟

قال له: حيث شككت فسوف أعيد الصلاة خلفك .

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾

مطالبة للعارف بأن لا يتطلع ولا يطمع إلى ما لم يصل إليه بعد، وأن يترك ذلك لله، فهو القادر على إيصاله إلى العلم الأعلى منه، فإن العلم لا يؤخذ بالتكلف، بل هو انقذاف النور والمعرفة فى القلب

ولهذا لما سأل نبى الله نوح عليه السلام ربه أن يعلمه السر الذى كفر لأجله ابنه خاطبته الحضرة الإلهية: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾

قد تكلم الإمام الكامل عبد الكريم الجبلى فى آخر الإنسان الكامل عن تسبيح الكافر وهو حىٌّ فى الدنيا بدون قصده، واحتج بقوله تعالي: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾.

واعلم أن قوله سبحانه: ﴿ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ دال على أن الكل مسبح سواء المؤمن أو الكافر لإطلاق اللفظ وعدم تخصيصه، أقول: واعلم أن الأولياء لهم اطلاع على تسبيح الكائنات مطلقاً، حتى عدد الإمام الشعرانى تسبيح كل كائن وصيغة التسبيح بلفظها فى كتابه المنن وحكى ذلك، وأن الله أطلعه عليه، وحكى لى أحد إخواننا فى الطريق أن شيخنا محمداً الحافظ التجانى ﷺ رأى أحد أصحابه فقال له: يا فلان هل تسمع تسبيح الكون؟ فقال له: يا سيدى لا، فبعد عدة سنين من وفاة الشيخ كشف لهذا المريد عن تسبيح الكون.

وحكى الشيخ أحمد رضوان عن نفسه أنه عندما كان يخرج إلى البرية لأجل السياحة ليقضى حاجته أراد أن يستجمر بحصاة فسمعها تسبح فرماها حياء من الله .

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾

هى غيرة إلهية لكى لا يكون لأهل الحجاب اطلاع على مكنونات الله، فإذا قرأ العارف فى حضرة الله كلامه ضُرِبَ بينه وبين الأرواح الخبيثة حجاب الإنكار، فلا يفهم منه شئ، بل من سمعه من أهل

الحجاب ازداد نفوراً وبعداً عن الله وثخن حجابه أكثر فافهم.

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾

وهم المُخْلصَون، الذين صنعوا على عين الله، الذين لا تمسهم شائبة من علل الأكوان، ولا تطرفهم نوائب الدهر بشيء، قد ضن الحق بهم أن يعرفوا أو أن يتعرف عليهم غيره، فرضى الله تعالى عنهم ورضوا عنه .

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴿٦٤﴾ ﴾

وهم الغاضبون، فإن من غضب لغير الله فإنه يتكلم بلسان الشيطان، حيث لا يدرى ما يقول من الكلام والسب والشتائم، فالشيطان لا يستفز أحداً مثل الغاضب، فإذا غضب الشخص فإنه يتكلم بلسان الشيطان، وقد يرسل له الشيطان شخصاً يستفزه بالكلام

﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴿٦٤﴾ ﴾

أى أعن عليهم بالإغراء والتزيين والنفخ بنفسك وبجنودك ورجالك .

﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴿٦٤﴾ ﴾

أى شاركهم فى الحياة العامة، فتكون مشاركته لحزبه فى المال والأولاد والنكاح والأكل والشرب.

وقد تكون مشاركته فى المال بأن يرابى به الإنسان أو أن يجمعه من طرق محرمة كالرشوة وظلم الناس واختلاس أموالهم منهم بالغصب والقهر والتدليس، وقد تكون مشاركته فى الأولاد بأن يشترك

مع الناكح فى نكاح أهلة، فيخرج الولد فيه جزء من الشيطان.

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾

وهم المخلصون، أى الطائفة الربانية التى سد الحق سبحانه الطريق على إبليس أن يتسلل إليهم، وهم الذين أذلوا إبليس وأروه من العذاب ألواناً وإهانات، وهؤلاء الأقطاب كان منهم سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكان منهم أحمد بن حنبل روى عنه أنه لما كان فى النزع جاء الشيطان وقعد بعيداً منه وجعل يحثو التراب على رأسه ويقول: لقد أفلت منك أحمد لقد أفلت منك أحمد لقد أفلت منك أحمد ،

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾

كرم هذا الآدمى حيث تفضل عليه بمعرفته، وحمله فى البر والبحر لكى يتعرف على حضرة الله عز وجل، وأعطاه العقل والكلام وميزه بالبصيرة، وأبصره بالسر الإلهى .

وهو تمييز له عن سائر المخلوقات العلوية والسفلية .

﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾

أعمى لكونه لم يتعرف علينا، ومات وهو غليظ الحجاب، فهؤلاء هم المبصرون الذين لم يبصروا، قد قيل فيهم: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾.

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾

وحاشاه ﷺ من أن يركن إليهم شيئاً قليلاً، ولكن من شأن الحق سبحانه أن يصرف أحبابه عن الفعل الذى لم يخطر ببالهم أن يرتكبوه، فيعابتهم على ما لم يصدر منهم، وهو أدب راق لا يطلع عليه غيرهم.

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾

وذلك لكون الليل هو حصيلة العارفين، وإلا لما قيل له ﷺ: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾، فالتهجد الليلى هو منتهى طموح العارفين ولأجله ربْطَ بينه وبين المقام المحمود المحمدى .

واعلم أن شرف هذه الأمة إنما يكون فى قيام الليل ولذلك قامه ﷺ حتى تورمت قدماه، وسُئل فى ذلك بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأجاب ﷺ بأن ذلك من باب الشكر لربه.

واعلم أيدك الله أن أصحاب الليل هم غرباء فى هذه الدنيا، فلا مشهد لهم سوى فى الليل، فإذا طرقهم النهار أحسوا بالغربة فيه، فلا عيش لهم سوى عيش الآخرة. وكانت السيدة الحكيمة رابعة العدوية إذا طلع نور الفجر وأدبر الليل استوحشت فإذا أقبل الليل تنفست الصعداء، وتقول: كأنما ردُت إلى روحى.

واعلم أن مقامه المحمود ﷺ هو الذى تفرد به على بقية الأنبياء، وبه يشفع نبينا ﷺ فى الخلق ويقدمه الأنبياء عليهم ، ويأبى أن يتقدم عليه نبى من إخوانه الأنبياء.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ

﴿ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

اعلم أنه قد أخفق من ظن أنه ﷺ كان لا يعرف سر الروح، فإنه من الأسرار العادية فى حقه ﷺ التى لا تضن بها حضرة الله على مثل نبينا ﷺ، ومثله سر وقت قيام الساعة، فإن هنالك من الأسرار ما هو أعلى من مثال هذين السرين كبعض الأسرار المتعلقة بالذات الإلهية والصفات، فإنها أخطر بكثير من سر الروح وسر الساعة فافهم.

واعلم رحمك الله أن بعض العارفين من أولياء هذه الأمة يكرمهم الحق عز وجل فيكون لهم اطلاع على سر الروح وسر الساعة، ومن أراد أن يرى عجائب ذلك فليطالع كتاب الشجرة النعمانية لمولانا محيى الدين عربى ﷺ وكتاب الجفر للإمام على كرم الله وجهه.

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ ﴿١٠٦﴾ ﴾

لك لتميز به بين الحق والباطل، فإنه العلم الأصلى القديم الذى يعطى الأشياء صنعتها الأصلية التى طبعت فيها ويميزها بالفرقان القاطع، وهذا لا يطلع عليه سوى قطب محمدى أعطى فرقاناً إلهياً قاهراً، حتى يقول ذلك القطب الفرقانى مشيراً بأصبعه: ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾.

وقد حكى الإمام الشعرانى شيئاً فى الطبقات الكبرى عن أولياء الفرقان الإلهى فحكى عن أحدهم أنه كان إذا نظر إلى الهلال ورآه علم منه ما سيقع وما قدر على الناس فى تلك السنة .

﴿ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴿١٠٦﴾ ﴾

أى لتقرأه على الناس وأنت لا زلت ماكثاً للتفرقة بين أهل الباطل وأهل الحق، وورثت من بعدك من العارفين من أولياء أمتك من ورثتك هذا السر الفرقانى، فلا زالوا ماكثين على التفرقة به بين الحق والباطل .

obeikandl.com